

# بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

## مقدمة

الحمد لله الذى علّم وفهّم ، وعلمّ الإنسان ما لم يعلم ، وأسبغ على عباده نعمًا ظاهرة وباطنة . والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء ، وخاتم المرسلين سيدنا محمد ﷺ وعلى آله وصحبه وسلّم ، وبعد .

فقد شهدت منطقة بلاد السودان الغربى ، وهى منطقة غرب إفريقيا والتي تمتد من بحيرة تشاد شرقًا إلى المحيط الأطلنطى غربًا ، ومن الصحراء الكبرى الإفريقية شمالًا حتى نطاق الغابات الاستوائية جنوبًا . ظهور العديد من الدول التى أسهمت فى رفع راية الإسلام فى هذه الأصقاع . مثل امبراطورية مالى ، وامبراطورية سنغاي . وقد أسهمت هذه الدول فى نشر الإسلام ، والثقافة العربية الإسلامية فى غرب إفريقيا . بيد إفريقية خالصة . حيث إن هذه الدول تكونت على أكتاف أبنائها الأفارقة . وتعتبر جزءًا هامًا من التاريخ الإسلامى والذى نعتز به .

ولم تعش هذه الدول بمعزل عن العالم الإسلامى ، بل كانت لها صلواتٌ به وخصوصًا مصر ، وبلاد المغرب . فمصر كانت معبرًا لطريق الحج ، ومركزًا لنشر الثقافة الإسلامية فى غرب إفريقيا . والمغرب بحسب القُرب الجغرافى ، والمغرب كان له أثر أيضًا فى نشر الإسلام فى هذه البلاد ، وصبغها بالصبغة العربية الإسلامية .

ومن هنا تأتى أهمية الكتاب الذى نتشرّف بتحقيقه وإخراجه فى ثوب جديد يليق به ، وأهمية الكتاب أنه يعتبر من أهم أربعة كتب تناولت تاريخ منطقة غرب إفريقيا . وهذه الكتب هى : كتاب ( الفتاش فى أخبار البلدان والجيوش وأكابر الناس ) لمحمود كعت . والكتاب الثانى هو لمؤلف مجهول تحت اسم ( تذكرة النسيان فى ملوك السودان ) .

وثالث هذه الكتب هو كتاب محمد بن بلو والمسمى ( إنفاق الميسور فى سيرة بلاد التكرور ) ، ورابعها هو الكتاب الذى بين يدي القارئ الآن ، وهو ( تاريخ السودان ) للسعدى .

وقد واجهتني عدة صعوبات في سبيل إخراج هذا الكتاب ، يمكن إجمالها في الآتي : أولها أن الكتاب تميز بالطول في الفقرات مع عدم وضع عناوين توضح مضمون هذه الفقرات . بالإضافة لعجمة اللغة التي كان يكتب بها المؤلف نظرًا لأصوله الإفريقية . ومنها أيضاً كثرة الأسماء الخاصة بالأماكن والمصطلحات السياسية الإفريقية ، والتي تقترن بالأسماء مما يجعلها سبباً في اللبس .

وقد اتبعتُ منهجاً في إخراج هذا الكتاب ، وهو تقسيم الكتاب إلى فقرات مع وضع عناوين بين حاصرتين ، أما الهامش فقد تم شرح الكلمات الصعبة وترجمة للأشخاص الذين لم ترد لهم ترجمة في متن الكتاب .

وإتماماً للفائدة قمتُ بوضع دراسة سريعة لدول غرب إفريقيا مع توضيح عن أهم إسهاماتها في الحياة الإسلامية في غرب إفريقيا ، كما تحدثتُ عن الكتاب ومؤلفه . ونظرًا لطول الكتاب ، فقد قمتُ بتقسيمه إلى قسمين . جعلت القسم الأول ينتهي مع نهاية دولة السنغاي . والقسم الثاني يبدأ بالغزو المراكشي لبلاد سنغاي .

وفي النهاية أتمنى أن يجد الكتاب قبولاً لدى القراء ، كما أنني أرحب بالملاحظات التي يبدونها ، فالغرض في النهاية هو نشر المعرفة ، وإبراز دور الأفارقة في صناعة التاريخ الإسلامي .

وما أبريء نفسي إن النفس لأمارة بالسوء ، وما كان لي من توفيق في هذا الكتاب فمن الله سبحانه وتعالى ، وما كان لي من تقصير فمن نفسي والشيطان .

وعلى الله قَصْدُ السبيل

عبد النعيم ضيفي عثمان

## الدول الإسلامية في غرب إفريقيا

لقد حاول كثير من المؤرخين الأوروبيين ، أن يثبتوا أن إفريقيا لم تكن تعرف الحضارة قبل قدوم الأوروبيين للقارة . كما أطلقوا على القارة لفظ القارة المظلمة على اعتبار أنها لم تشهد نور العلم ولا الحضارة . ولا يخفى على أحد الهدف من هذه المحاولات ، ألا وهي محاولة إظهار أن للأوروبيين أثراً في تقدم الأفارقة . تمهيداً لترسيخ المفاهيم الاستعمارية للقارة ، وكمحاولة للتنصّل من الجرائم التي ارتكبوها في حق أبناء القارة .

وعلى الرغم من ادعاءات هؤلاء الأوروبيين الظالمة ، فقد شهدت القارة ظهور العديد من الدول ، والتي جعلت الإسلام منهجاً لها واتخذته نبراساً لتهدى به . ومن هذه الدول .

### أولاً : دولة مالي (٥٩٦-٨٧٤ هـ / ١٢٠٠-١٤٦٩) :

أسس هذه السلطنة شعبٌ زنجي يُعرف باسم الماندينجو ، ويُطلق عليهم الفولاني<sup>(١)</sup> اسم مالي . وقبائل البربر كانت تسميهم مل أو مليت . أما المؤرخون العرب فسموهم مليل<sup>(٢)</sup> .

وكان موقع هذه السلطنة بين بلاد البرنو شرقاً ، والمحيط الأطلنطي غرباً وجبال البربر شمالاً<sup>(٣)</sup> ، وفي الجنوب جبال فوتا جالون . واشتملت على خمسة أقاليم وهي : إقليم مالي في الوسط ، وعاصمته بنبي . وإقليم صوصو جنوب شرق مالي . وإقليم غانا شمال مالي ويمتد للمحيط الأطلنطي . وإقليم كوكو شرق مالي . وإقليم تكرر في غرب مالي حول نهر السنغال<sup>(٤)</sup> .

(١) الفولان : من الشعوب التي كانت تسكن في منطقة غرب إفريقيا .

(٢) البكري : المغرب في ذكر بلاد إفريقيا والمغرب ، دار الكتاب الإسلامي ، القاهرة ، ص ١٧٨

(٣) الفلقشندي : صبح الأعشى في صناعة الإنشا ، وزارة الثقافة ، مصر ج ٥ ، ص ٢٨٢ .

(٤) المصدر السابق ، ج ٥ . ص ٢٨٣ - ٢٨٦ .

وقد اشتهر العديد من ملوك هذه السلطنة منهم ( سندياتا ماري جاطه <sup>(١)</sup> ) وامتدت فترة حكمه من عام ( ٦٢٨ - ٦٥٣ هـ / ١٢٣٠ - ١٢٥٥ م ) . وفي عهده توسعت الدولة فاستولى على غانا ، وقد بلغت مدة حكمه خمسة وعشرين عاماً ، وبعد وفاته تولى ابنه ( منساو لي ) ( ٦٥٣ - ٦٦٩ هـ / ١٢٥٥ - ١٢٧٠ م ) ، وقد قام برحلة للحج في عهد السلطان الظاهر بيبرس .

ومن أشهر حكام هذه الدولة منسا موسى ( ٧٠٧ - ٧٣٣ هـ / ١٣٠٧ - ١٣٣٢ م ) وهو صاحب رحلة الحج المشهورة <sup>(٢)</sup> ، والتي كانت مضرب الأمثال . وقد اتسعت الدولة في عهده فضم جاو ، وتنبتك ووصلت الدولة في عهده من بلاد التكرور غرباً حتى دندى شرقاً ، ومن ولاته شمالاً إلى مرتفعات فوتا جالون جنوباً <sup>(٣)</sup> .

وظلت هذه الدولة قائمة ، حتى تعرضت للانحيار بسبب انصراف الحكام لحياة اللهو والترف ، وفقدان الروح العسكرية . بالإضافة لتعرضها لغارات الولوف ، والكانم . وقد استطاع سُنُّ على إسقاط هذه المملكة في عام ( ٨٧٣ هـ / ١٤٦٩ م ) وتأسيس مملكة سنغاي بعد سقوط تنبتك في يده <sup>(٤)</sup> .

وقد كانت لدولة مالي علاقات تربطها مع مصر ، فقد كان يأتي الطلاب من مالي للدراسة في مصر ، ويذهب التجار المصريون لمالي ، وقد شاهد ابن بطوطة <sup>(٥)</sup> مصريين يقيمون في مالي ، بالإضافة لوجود علاقات سياسية مثل استقبال الملك منسا موسى حين قام برحلته المشهورة للحج .

---

( ١ ) ماري جاطه : معناها الأمير قلب الأسد .

( ٢ ) المقرزي : الذهب المسبوك فيمن حج من الملوك ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ١٨٩٩ م . ص ١٣٣ .

( ٣ ) رجب محمد عبد الحلیم : الموسوعة الإفريقية ، معهد البحوث الإفريقية ، جامعة القاهرة ج٢ . ص ١٧٧ .

( ٤ ) محمود كعت : الفتاش في أخبار البلدان والجيوش وأكابر الناس ، بردين ١٩١٣ م . ص ٤٣

( ٥ ) ابن بطوطة : الرحلة ، دار التحرير ، القاهرة . ص ١٧٠ .

## ثانياً: سلطنة سنغاي ( ٧٧٧ - ١٠٠٠ هـ / ١٣٧٥ - ١٥٩١ م ):

كان بداية ظهور هذه السلطنة في عام ٧٠٠ م ، وأول ملوكها الذي اعتنق الإسلام وكان اسمه ( زاكسي ) وكان يُعرف باسم مسلم دم ، ومعناه : الذي أسلم طواعية<sup>(١)</sup>. واتخذ عاصمة جديدة له وهي مدينة كوكيا .

وقد خضعت هذه الدولة لحكم مالي ، والتي كان من عادة ملوكها اتخاذ أبناء الأمراء كرهائن لضمان حُسن ولاء أمرائها ، ومن هؤلاء الأمراء ( سلمن فار وعلى كلن ) . وقد نجح على كلن في الفرار من بلاط مالي . وأخذ في مناوشة سلطنة مالي ، وتمكّن من تحرير بعض قبائل السنغاي ، والتي كانت مستعبدة لسلطنة مالي<sup>(٢)</sup> .

ثم تمكّن سن على الذي حكم في عام ( ٨٦٩ - ٨٩٨ هـ / ١٤٦٤ - ١٤٩٢ م ) من الاستيلاء على مدينة تنبكت ، وأسس دولة الصنغى . وقد استمرت مدة حكمه حوالي سبعة وعشرين عامًا ، وأمضى بعضها في حروب لتوطيد أركان الدولة ، وتأديب القبائل الوثنية<sup>(٣)</sup> .

ومن أشهر حكام سلطنة سنغاي الاسكيا محمد الطوري ، حيث شهد عصره ازدهار الإسلام في سنغاي ، كما قام بإحياء التقاليد والعادات الإسلامية ، وقد وصلت البلاد في عهده أقصى اتساع لها ، فامتدت من الحوض الأدنى لنهر السنغال غرباً ، حتى حدود برنو شرقاً من الصحراء الكبرى شمالاً حتى سيجو جنوباً . وقد استطاع الطوري إخضاع معظم القبائل .

( ١ ) السعدى : تاريخ السودان ، باريس . ١٨٩٨ . ص ٣ . وانظر توماس أرنولد : الدعوة للإسلام .

ترجمة حسن إبراهيم حسن وعبد المجيد عابدين ، النهضة المصرية - القاهرة . ١٩٥٧ م . ص ٣٥٥ .

( ٢ ) السعدى : تاريخ السودان . ص ٧ . وانظر جميلة إحمد التكتيك : مملكة سنغاي ، مركز جهاد

الليبيين ، ليبيا . ١٩٩٨ م . ص ٤١ .

( ٣ ) مادهو بانيكار : الإسلام والوثنية ، ترجمة : أحمد فؤاد بلبع . المجلس الأعلى للثقافة . مصر .

٢٠٠٣ م . ص ١٢٥ .

عدا قبيلتي البولالا ، والموسى (١) .

وقد تعاقب على حكم دولة السنغاي الكثير من الأساكي ، منهم الإسكيا موسى ، والإسكيا محمد بنكن ، والإسكيا إسماعيل ، والإسكيا إسحاق الأول . والإسكيا داود ، والحاج محمد الثاني ، والإسكيا محمد الرابع ، والإسكيا إسحاق بن داود ، والإسكيا محمد كاغ .

### السعدى فى كتابه تاريخ السودان :

يُعتبر عبد الرحمن بن عمران السعدى من أشهر مؤرخى منطقة غرب إفريقيا ، ويُعتبر عَلمًا فى مدرسة اشتهرت بغزارة علمها ، فقد أنجبت هذه المدرسة العديد من العلماء الأفاضل منهم : محمود كعت ، وأحمد بابا التنبكتى صاحب ( نيل الابتهاج فى تطريز الديباج ) .

والسعدى هو عبد الرحمن بن عبد الله بن عمران السعدى المولود فى عام ١٠٠٤هـ / ١٥٩٥م . ويعود فى أصوله العرقية لأسرة إفريقية صرفة على الرغم من اسمه العربى الصرف .

وقد عمل فى بداية حياته بالكتابة ، ثم تولى إمامة جامع سنكرى ، وهو من أشهر مساجد غرب إفريقيا ، وكان يعتبر بمثابة جامعًا وجامعة ، ثم تولى محمود بن عمران العمل بإمامة مدينة تنبكت . ويبدو أن عمله بالإمامة أكسبه روحًا دينية تظهر فى ثنايا كتابه ، فهو قد أفرد صفحات عديدة لذكر سير العلماء ، والصوفية فى كتابه .

والكتاب يحتوى على ثمانية وثلاثين باباً . خصص الباب الأول منه لذكر ملوك صنغى ، والباب الثانى بترجمة حياة ( سن على ) . أما الباب الرابع فخصصه للحديث عن سلطنة مالى . وبداية من الباب السادس حتى السابع خصصه لذكر بعض علماء جنى ، وتحدث فيه عن مدينة تنبكت ، والباب الثامن خصَّصه للحديث عن قبائل الطوارق . ثم عاد فى الباب التاسع ليتحدث عن علماء مدينة تنبكت حتى

---

(١) شارل أندريه جوليان : تاريخ إفريقيا ، ترجمة طلعت عوض ، الألف كتاب ، القاهرة ، بدون تاريخ

الباب الثامن عشر ، حيث عاد للحديث عن سيرة سن علي . وبداية من الباب الثالث عشر حتى الثامن عشر خصصه للحديث عن أشهر خلفاء دولة سنغاي . ثم من الباب التاسع عشر حتى آخر الكتاب للحديث عن سنغاي تحت حكم المراكشيين . وقد طُبع الكتاب لأول مرة على يد المستشرق الفرنسي هوادس ، وطُبع في مطبعة بردين عام ١٨٩٨ م . ثم قامت منظمة اليونسكو بإعادة نشره عام ١٩٦٤ م ، مع ترجمة فرنسية له .

والطبعة الأولى للكتاب عام ١٨٩٨ م ، والطبعة الثانية عام ١٩٦٤ م غير محققة ، وإنما هي طباعة لنص الكتاب فقط بدون توضيح أو شروح .  
يتبقى لنا أن نقول أن مؤلف الكتاب محمود بن عمران السعدي ليس عربياً الأصل . ولذلك يوجد في نص الكتاب أخطاء إملائية ولغوية آثرنا الاحتفاظ بها ، احتراماً لنص الكتاب ، وحتى يظهر الكتابُ في صورته كما أرادها المؤلف .

